التغريب فى العالم الإسلامى

(المخططات، الآثار، المواجهة)

بقلم

د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية – للبنات

جامعة الأزهر بالإسكندرية

١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الهادى إلى الصراط المستقيم، والذى أحكم التنزيل. وأصلى وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، والذى أدى الأمانة، وبلغ الرسالة وأرسله الله هادياً إلى أوضح السبل، وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد ...،

فالحرب على الإسلام باقيةٍ بقاء الزمان، والصراع بين الحق والباطل مستمر مادامت الحياة، وإذا كانت أساليب الأعداء تتجدد وتتلون فى كل عصر، فإن الثقافة الإسلامية بما تملكه من أصالة ومرونة تستطيع أيضاً مجابهة خصومها، ورد مكائدهم ومواجهة مخططاتهم القديمة الحديثة التى لا تنقطع من أجل القضاء على عقيدة التوحيد وتغييب الإسلام كنظام ومنهج حياة بشتى الطرق والأساليب الملتوية والخفية.

لذا كان لابد من توجيه العديد من الدراسات للكشف عن زيف تلك الأساليب، وإبراز حقيقتها أمام كل منصف مشغول بمعرفة الحقيقة، أو مفتون مخدوع ببعض المظاهر البراقة لتلك التيارات، وأمام كل مسلم همه الإسلام وحمايته من مصائد الأعداء. ومن واجبى كمسلمة أن أساهم بجهدى المتواضع فى الكشف عن بعض تلك المخططات العدائية والتى عمت بآثارها معظم البلاد الإسلامية؛ بغية الوقوف على: مخاطرها وأبرز وسائلها وأساليبها، وانعكاساتها السلبية على العالم الإسلامى، ثم تقديم بعض ملامح الدور المنوط بالمسلمين أفراداً وجماعات ومؤسسات فى مجابهة تلك المخاطر. وقد اقتصرت فى هذه الدراسة على التغريب ومخططاته راجية من الله العلى القدير التوفيق والقبول والسداد.

خطة البحث

اشتملت خطة البحث على ما يلى:

مقدمة

تمهيد

الفصل الأول: ويتضمن ما يلى:

أولاً: دراسة لبعض المفاهيم المرتبطة بالتغريب

ثانياً: التعريف

ثالثاً: البواكير الأولى للتغريب فى العالم الإسلامى.

رابعاً: أهداف التغريب

خامساً: وسائل وأساليب التغريب فى العالم الإسلامى.

الفصل الثانى: ويتضمن ما يلى:

آثار التغريب وتتمثل فى:

المبحث الأول: القومية وآثارها وموقف الإسلام منها.

المبحث الثانى: العلمانية وآثارها وموقف الإسلام منها.

الفصل الثالث: ويشمل:

الدور المنوط بالمسلمين تجاه حملات التغريب

الخاتمة.

تمهيد

تتعدد التيارات والقوى المعادية للإسلام وتتباين أساليبها ووسائلها فى كل عصر لمواجهة الإسلام، فمن المؤامرة الصليبية العالمية على المسلمين فى البوسنة والهرسك وجنوب السودان، إلى أساليب الفرقة وإثارة النزعات العرقية فى أفغانستان، وسائر الجمهوريات الإسلامية لتوها من المعتقل الشيوعى.

فضلاً عن إثارة المشاكل الحدودية، التى تمثل ألغاماً موقوتة زرعها المستعمر قبل جلائه عن العالم الإسلامى، بهدف تفكيك أواصر المحبة، وتفتيت علاقات الأخوة بين المسلمين بالإضافة إلى تفاقم أحداث الغزو والاحتلال فى كل من أفغانستان والعراق وما صاحبها من هيمنة شاملة أصابت مقدرات المسلمين بالعجز والدمار إلى غير ذلك من ممارسات عدائية جنت معها الأمم العديد من المحن والويلات.

إن أمة الإسلام كانت وما زالت أكثر الأمم تعرضاً لهجمات وعداءات الحاقدين والبغاة منذ فجر بزوغها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالإسلام دوماً يتعرض لمؤامرات الكائدين، وحقد الحاقدين بغية الحيلولة دون تقدمه وانتشاره. قال الله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٣٢]. ولعل ذلك يرجع إلى الحقد الدفين. والضغائن التى يكنها اليهود والنصارى والشيوعيون وغيرهم، ممن يحقدون على الإسلام.

وإذا كانت عداوة هؤلاء ظاهرة معلنة للمسلمين، فإن الطامة الكبرى والكارثة المؤلمة أن يكون من أهل جلدتنا، ومن أبناء ملتنا وممن يكشفون أسرارنا، ويمثلون أبواقاً لأعدائنا، ويوجهون سهام الخديعة والمهانة لدينهم. إن

فئة لا يستهان بها ممن يحاربون الإسلام اليوم من داخله تحت شعار زائف لحرية الفكر والاجتهاد، يعملون على تفتيت المسلمين، وتشكيكهم فى دينهم، وتنفيرهم من عقيدتهم. وهم الذين نبه الله تعالى على خطرهم فى قوله سبحانه عنهم: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: من ٤١]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]. فقد انتشر فى الآونة الأخيرة خطر المنافقين من العلمانيين العرب فى طول الوطن الإسلامى وعرضه، حتى عمت البلوى، وعظمت بهم الفتنة، يبثون سمومهم، ويعلنون خفايا مروقهم(١).

فقد تعرض المسلمون على إثر الفتوحات الإسلامية إلى حملات من الزنادقة والإلحاديين فى محاولة للقضاء على أمة الإسلام تلك الأمة التى غيرت وجه التاريخ، بحضارتها الزاهرة وقيمها الفاضلة وأخلاقها السامية قروناً عدة شهد بها القاصى والدانى، "والفضل ما شهدت به الأعداء"، تلك الأمة التى زلزلت عروشاً ودمرت كيانات فاسدة أذاقت البشرية ألواناً شتى من الظلم والاضطهاد، الأمر الذى جعل أعداء الإسلام يتساءلون عن القوة الخفية التى مكنت المسلمين من هذه الانتصارات بالرغم من قلة عددهم وعدتهم فى مقابل جيوش متفوقة فى العدة والعدد، والحضارة والثروة، والخبرة وكل القوى المادية(٢)، وقد أيقن أعداء الإسلام أن السبب فى هذا كله هو تمسك المسلمين بعقيدتهم، واتخاذهم الإسلام منهج حياة لهم وقوة إيمانهم بالله تعالى

(١) حرية الفكر أم حرية الكفر، عبد العزيز بن سعيد الزهرانى، دار القاسم ١٤٢٠هـ، ط١، ص ١٠-١١.

(٢) احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام، سعدالدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، ط٢، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م/٧٢٥.

فأقبل الأعداء على اللغة العربية والعلوم الإسلامية يتعلمونها، ويدرسونها دراسة متأنية من أجل وضع الخطط والوسائل والأساليب لتنفيذ مخططاتهم.

وبعد أن تيقنوا من فشل الأساليب العسكرية التى مارسوها ضد المسلمين، ودحض جيوشهم احتلالاً وغزواً، قوبل بالمواجهة والكراهية من المسلمين، انتقلوا من الغزو العسكرى إلى الغزو الفكرى ضد الإسلام عن طريق إثارة بعض القضايا عن الدين الإسلامى، وإثارة التشكك فيها وإيراد العديد من الادعاءات والتهم وإشغال العقل المسلم بها: كقضية تحرير المرأة، والحجاب وعمل المرأة، والقوامة، وتحديد النسل، والمساواة بين الرجل والمرأة، وما إلى ذلك مما هو غير خفى عن الناس.

لذا وجب على أهل العلم والفكر والأدب - غيرة على إسلامهم ودفاعاً عنه ضد أى شائبة تشوبه - أن يتصدوا لتلك التيارات والقوى المعادية للإسلام بخطط وأساليب تتناسب مع حجم المؤامرة وضخامة العداء، فالحاجة ملحة إلى كشف تلك المخططات وإبراز زيفها، وبيان حقيقتها وخداعها الذى يتخذ من الثقافة والتنوير غطاءاً له زوراً وبهتاناً وقد تنبه بعض أهل العلم، وقادة الرأى، ودعاة الإصلاح إلى مثل تلك الأخطار التى تواجه الثقافة الإسلامية، وتحدق بالمسلمين بغية تشويه هويتهم، وتفتيت صفهم، فكانت دعوة هؤلاء المصلحين إلى تمسك المسلمين بعقيدتهم، وثقافتهم الحصينة المصونة، وإلى الجهاد المفروض على أمة الإسلام بضوابطه وشروطه. يقول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: من الآية ٤٠].

وحقاً إن الباطل المنظم يحتاج إلى حق منظم، ولما كان الغزو الفكرى أخطر الأساليب وأكثرهم خداعاً فهو أشد خطراً من العسكرى، كانت الحاجة ملحة إلى إجراء مزيد من الدراسات والبحوث التى تكشف عن مخاطر

تلك التيارات على العالم الإسلامى وسبل مواجهتها ولا أريد الإطالة فى خضم تلك المعارك الفكرية والتيارات المعادية المختلفة، حيث المجال فى كل نوع متشعب ومتسع ولذلك اهتمت الدراسة الحالية بواحد من أبرز تلك التيارات وهو: التغريب، أملاً من الباحثة فى الإسهام مع غيرها من الدراسات فى كشف تلك التيارات، وإبراز مخططاتها، وبيان سبل مواجهتها خدمةً للإسلام وزوداً عن حياضه.

الفصل الأول

ويتضمن ما يلى:

أولاً: دراسة لبعض المفاهيم المرتبطة بالتغريب.

ثانياً: مفهوم التغريب

ثالثاً: البواكير الأولى للتغريب فى العالم الإسلامى.

رابعاً: أهداف التغريب.

خامساً: وسائل وأساليب التغريب فى العالم الإسلامى.

أولاً: دراسة لبعض المفاهيم المرتبطة بالتغريب:

ثمة مفاهيم مرتبطة بموضوع التغريب، ينبغى التنبيه عنها وإلقاء الضوء عليها، لما يوجد من ترابط شديد بين مدلولاتها من أبرزها: **(الاستعمار - الاستغراب - الاستشراق)**.

فالاستعمار هو: حصول دولة أجنبية مستغلة على مجهودات وموارد دولة أخرى مستغلة دون أن تقوم الأولى بإضافة شئ لمجتمع الثانية إلا بما يخدم مصالحها. **وللاستعمار** خططه ومناهجه، ووسائله، وغاياته فى الغزو الفكرى للدول التى تقع تحت نيران الاستعمار، والتشكيك فى دينها، وتاريخها، ولغاتها، والطعن فى ماضيها لإنشاء جيل لا يعرف شيئاً عن دينه(١).

وأما **الاستشراق**: فقد جاء فى بعض المصادر اللغوية ان استشرق أى طلب علوم الشرق ولغتهم، ويقال ذلك لمن يعنى بهذا من علماء الفرنجة(٢). **فالاستشراق** إذاً هو طلب علوم الشرق، ويراد به اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق،، ولغاته، وآدابه، وعلومه، ومعتقداته ...(٣).

وأما **الاستغراب** فكلم استغراب مأخوذة من (غرب) وتعنى مغرب الشمس، وبناءاً على ذلك يكون معنى **الاستغراب** هو علم الغرب، وبذلك يكون مفهوم **الاستغراب** هو: التبحر فى أحدى لغات الغرب وآدابها،

(١) بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، د. على محمد عبد الوهاب، دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١١٥-١١٧.

(٢) المعجم الوسيط، ج١، ص ٤٨٢، لسان العرب، ج١٠، ص ١٧٣، القاموس المحيط، ص ٢٤٩، تهذيب اللغة ج٨، ص ٣١٦.

(٣) تاريخ الأدب العربى، أحمد حسن الزيات، ط. دار النهضة، مصر، القاهرة، ص ٥١٢.

وحضاراتها، وتاريخها. بمعنى أن يصبح الشخص غربى التقاليد، والعادات، واللغة، ويطبع بطابع الحضارة الغربية(١).

ومن خلال إلقاء نظرة عابرة على هذه المفاهيم المترابطة، ظهر بوضوح مدى اتحاد الهدف، والغاية، والوسيلة، ومدى المداهنة فى التعامل مع الشرق العربى، والقضاء على كل ما هو شرقى، لا سيما الإسلامى والاستيلاء على الوطن العربى بأسره بكل ما فيه. ومن هنا يتضح خيوط المؤامرة الخبيثة العنكبوتية للقضاء على الإسلام، وعلى الشرق بأكمله.

ثانياً: مفهوم التغريب:

التغريب:

تيار فكرى كبير ذو أبعاد سياسية، واجتماعية، وثقافية، وفنية، يرمى إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربى، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة، وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية(٢). فهو حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامى الخالص، وتذويبها فيما يسمى "الثقافة العالمية" أو الفكر الأممى(٣). فحينما انكشفت حقيقة الاستشراق، وفضح أمره، كان لابد من التفكير فى اسم آخر يختفى وراءه الاستعمار، ولون جديد ينفذ منه مكره، فالتغيير إذن حصل فى الاسم لا

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، ص ٤٢.

(٢) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مراجعة د. مانع بن حماد الجهنى، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، مجلد١، ط٣، ١٤١٨هـ، ص ٧٠٨.

(٣) أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية العمرى، ط٩، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، ص ٢٢٦.

غير، وليس فى المضمون ولا الهدف الذى يرمى إلى فرض الهيمنة الغربية على الشرق. وأول من استعمل هذا المصطلح وأعطاه مفهومه هو المؤرخ الإنجليزى "هاملتون جب" حين دعا إلى حق الغرب فى امتلاك التوجيه على التربية والصحافة ومقومات الحياة(١).

وقد استطاع الغرب عن طريق تلك الخطة التى رسمتها مخططات الغزو الفكرى الغربى تغريب الشرق. بمعنى أن يعيش المسلم فى بلده، وهو يحمل ثقافة واقتصاد وفكر وحضارة وأخلاق، وحياة الغرب مما كان له الأثر الخطير على العالم الإسلامى والمسلمين.

وبذلك يتبين أن التغريب فى أبسط مفهوم له هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب والخضوع لنفوذه وسلطانه، وقبول الاحتواء فى بوتقته، بحيث لا يجد أية معارضة تحول دون غرس مبادئ التقبل والولاء الغربى فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم، وتفكيرهم، وحتى تخف فى أنفسهم موازين القيم الإسلامية(٢).

ثالثاً: البواكير الأولى للتغريب فى العالم الإسلامى:

ترجع البواكير الأولى لتسلل التغريب وظهوره فى العالم الإسلامى إلى تلك الحالة التى سادت البلدان الإسلامية فى نهاية القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين، والتى اتسمت بالجمود والتخلف، وعدم مسايرة الركب الحضارى، فى الوقت الذى كانت فيه النهضة الأوربية قد

(١) نظرات فى الثقافة الإسلامية، عز الدين الخطيب التميمى وآخرون، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٤٤ بالهامش.

(٢) الإسلام فى وجه التغريب، د. أنور الجندى، ط١، دار الاعتصام، القاهرة، ص ٤١٨ بتصرف.

شهدت تقدماً فى جميع المجالات. وفى خلال تلك الفترة بدأت طلائع الاستعمار تتحرك، وتمكنت من احتلال بعض البلدان الإسلامية.

ونظراً لهذا الخطر تطلع المسلمون إلى اقتباس النموذج الغربى بعد الانبهار به، فسعوا إلى الأخذ بأساليب البلاد الغربية فى تنظيم الجيوش، والتسليح، بالإضافة إلى النهضة العلمية وذلك عن طريقين:

الأول: إرسال البعثات إلى البلاد الأوربية.

الثانى: استقدام الخبراء الغربيين للإعداد لنهضة حربية مأمولة(١).

والاهتمام فى البداية كان مقصوراً على الناحية الحربية، والأخذ بأسباب القوة التى تكفل لهم مجابة أندادهم، ومن الدول التى أخذت بهذا الطريق: تركيا، ومصر، وتونس، وإيران(٢). إلا أن الأمر لم يبق على ما هو عليه، بل تطور واستفحل خطره، حيث امتد الأثر من الناحية العسكرية إلى نواحى أخرى من سياسية، وثقافية، وحضارية، وعلمية، واقتصادية، وإدارية، بل العلم على أن تصبح البلاد الشرقية نموذجاً من العالم الغربى.

ولذلك كانت الرقابة الشديدة على البعثات العلمية وقصرها على النواحى العسكرية، والصناعية، والاقتصادية دون المساس بالنواحى العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية حيث لا تلائم المجتمعات الإسلامية(٣).

وقد تأثر الكثير من هؤلاء المبعوثين بالحياة الغربية عامة، وبدأت بذور التغريب والممثلة فى أفكار "فولتير" و"جان جاك روسو" و"مونتسكيو" وغيرهم تؤتى ثمارها بطبع الفكرة الغربية فى وجدان المبعوثين وعقلهم، والذين

(١) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ص ٤٢، مرجع سابق.
(٢) بين الإسلام والغرب، على محمد عبد الوهاب، ص ١٢٦، مرجع سابق.
(٣) بين الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص ١٢٨.

كان لهم بالتالى دور كبير فى الترويج لهذا النموذج. وكان من أبرز أعضاء البعثات العلمية للخارج، والذى كان لهم الأثر الكبير فى الفكر المعاصر هما:

١- العالم المصرى الأزهرى "**رفاعة الطهطاوى**" الذى أقام فى باريس خمس سنوات من (١٨٢٧م - ١٨٣١م).

٢- العالم التونسى "**خير الدين التونسى**" أقام بباريس فوضعت البذور التغريبية فى المجتمع الإسلامى، من خلال ما توافر لدى المبتعثين من قناعة وانبهار بالنموذج الغربى. ومع الوقت تحقق الرواج لأفكار الغرب فى العالم الإسلامى. فظهر الحديث عن الوطن والوطنية، والقوميات والنزعات العرقية، والاهتمام بالتاريخ القديم، وحرية المرأة، ومنع تعدد الزوجات، وتحديد الطلاق، وتحديد النسل ... إلخ(١).

وقامت الحرب العالمية الأولى وروجت أكثر لتلك الأفكار، ثم تطورت وازدهرت واتسعت الحركة، وظهرت السلبيات والانحرافات بعد الحرب العالمية الثانية. وهكذا أثمرت الدعوة إلى الحرية بمفهومها الغربى الصليبى كل عوامل الهدم التى تفاعلت فى مجتمع المسلمين وأدت إلى ما أدت إليه من الجهر بما أسموه تحرير النظم والقوانين من سيطرة الدين، وفصل الدين عن الدولة، وتحرير المرأة من قيود الدين وهكذا ... فهذه الدعوة للتغريب ممثلة فى محاكاة الغرب فى تقدمه المادى ومنهجه فى الحياة العامة، وهذه دعوة للانتماء الوطنى والقومى(٢).

(١) راجع تفصيلاً: بين الإسلام والغرب، على محمد عبد الوهاب، ص ١٢٩-١٤٠.
(٢) أخطار غزو الفكر الإسلامى، د. صابر طعيمة، ص ٦٤، ٦٥.

وهكذا بدأت بذور التغريب فى العالم الإسلامى، والتى كان سببها الأول هو الوقوف على أسباب قوة الغرب، والرغبة فى نهضة سياسية للصمود أمام الغرب، وبدأت أفكار الغرب تنتشر، وتلقى تجاوباً من بعض الناس، وظهر التعصب المنهى عنه للقومية، والوطنية، والحرية، وما إلى ذلك من الأفكار الغربية التى راجت فى دنيا الناس(١).

ومن هنا يتبين لنا: أن بذور التغريب التى وفدت إلينا من الغرب ما هى إلا جزء من مخطط أثيم، يهدف إلى هدم قيم الإسلام، ومثله العليا، ومازال هذا المخطط يؤدى دوره الملحوظ من خلال ما أسهم به الاستعمار والتبشير، والاستشراق، والصهيونية من أدوار فى محاولة تفتيت الأمة الإسلامية، وطمس هويتها، وتجدر الإشارة إلى أن تلك العداءات والمخططات مع اختلافها وتنوعها فى الأسلوب، إلا أن هدفها واحد يتمركز فى استئصال الإسلام واقتلاعه من جذوره.

والواجب علينا نحن المسلمين الحذر كل الحذر مما يدبر لنا، وأن نكون على بصيرة من أمرنا فى الدفاع عن عقيدتنا، وقيمنا، وأخلاقنا، وثقافتنا الإسلامية الأصيلة، والنظرة الدقيقة الفاحصة، إلى كل ما يفد إلينا من اتجاهات، وأفكار، وتيارات، من خلال المنظور الإسلامى. يقينا أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها رفضاً للإمعة والتبعية العمياء. فما وافق منها الإسلام قبلناه وما خالفه تركناه وإلا يصدق علينا قوله تعالى:﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) المرجع السابق، ص ١٤١.

فالأمر جَدُّ خطير، والواقع أن لتغريب فى محاربته للدعوة الإسلامية قد مر بمراحل عدة[1] إلخ.

الأولى: مرحلة الغارات العسكرية، والتى تمثلت فى الحملات الصليبية العسكرية. وهذه المرحلة فشلت لوضوح عدائها.

الثانية: مرحلة الغزو الفكرى بواسطة المستشرقين، والإرساليات والمدارس الأجنبية. فهذه وإن أدت دوراً هاماً، وخُفى خطرها لفترات طويلة، إلا أنها نبهت المسلمين العالمين للخطر الذى يراد بهم فنهضوا يقابلون السلاح بمثله. وكان ذلك بدء ظهور الحركات الإسلامية فى شرق وغرب العالم الإسلامى.

الثالثة: مرحلة تسخير عملاء من أبناء المسلمين بالتحطيم للإسلام من داخله كحركة مصطفى كمال أتاتورك، والتى انتهت بسقوط الخلافة الإسلامية. فهذه المرحلة وإن كانت قد نجحت شيئاً ما فى القضاء على وحدة المسلمين، إلا أنها أذكت وحركت روح الجهاد والحماس فى نفوس الغيورين على دينهم.

الرابعة: مرحلة تحطيم الحركات الإسلامية العاملة، والمهادنة مع الحركات والتوجهات التى تقتصر على بعض جزئيات الدين، كالأعمال الخيرية والجوانب الروحية فلا يشغلها إيقاظ الهمة فى نفوس المسلمين، أو تحريك دوافعهم تجاه دينهم فى الذود عنه والاهتمام بقضاياه. وقد تمثلت هذه المرحلة فى الصراع بين الحركات الإسلامية، وبين تلامذة الغرب الذين قاموا بضرب هذه الحركات،

(١) الخطر الصهيونى على العالم الإسلامى، د. ماجد عرسان الكيلانى، الدار السعودية للنشر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٩٠-٩٣.

وحلها ومصادرة أموالها، وإعدام زعمائها، أو بزجهم فى السجون والمعتقلات، مع استغلال البعض فى إصدار الفتاوى بزندقة هذه الحركات وخروجها على الدين.

الخامسة: مرحلة القضاء على التراث الإسلامى: اتضح للغرب أن الخطر لا يكمن فى تلك الحركات الإسلامية، وإنما فيما يسمى بـ "الخليفة الإسلامية" على حد تعبير "موروبيرجر" والتى تعنى الحضارة والتراث الإسلامى الأصيل، الذى رسخ وتعمق فى المشاعر والتفكير. هذا التراث الحضارى الإسلامى المتوارث يقف حاجزاً منيعاً أمام الغرب. ولذا تسعى للتخطيط فى القضاء على التراث الإسلامى.

ولكن أنَّى لكل هذه المخططات، وتلك المؤامرات أن تنال من الإسلام وأهله وتراثه، هيهات لها ذلك فالله تعالى حافظ دينه مهما تآمر المتآمرون، وخطط الكائدون، ومكر الماكرون، يقول الله تعالى: ﴿**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ، فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ**﴾ [إبراهيم: ٤٦، ٤٧].

رابعاً: أهداف التغريب:

التغريب كما عرفنا سابقاً - هجمة نصرانية، صهيونية، استعمارية فى آن واحد، التقت على هدف واحد وهو طبع العالم الإسلامى بالطابع الغربى، تمهيداً لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية(١). ولا ريب أن هذا المخطط من أقسى ما يواجهه الفكر الإسلامى فى العصور المختلفة، لأنه وليد الاستعمار، وربيب الاستشراق، وابن التبشير علاوة على كونه مؤامرة صهيونية مع الصليبية ضد الإسلام والمسلمين(٢).

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والتيارات المعاصرة، ص ٧١٥.
(٢) شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى، د. أنور الجندى، المكتب الإسلامى، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٥.

ولهذه الحملة الشرسة عدة أهداف من أبرزها:

١- إثارة الخلافات والخصومات بين الغرب والمسلمين، ورد التراث الإسلامى إلى الفرس والهنود واليونان.

٢- تشجيع إيجاد فكر إسلامى متطور يبرر الأنماط الغربية ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية، بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب والشرق خدمة لمصالحه(١).

٣- إثارة الموضوعات التى تثير القلاقل والخلافات بين المسلمين: مثل دعوى تعدد الزوجات، وتحديد الطلاق، واختلاط الجنسين، ودعوى الحرية والوطنية، ودراسة التارخي القديم باعتباره أساس نهضة الأمم. يقول المستشرق "جب": (وقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب فى العالم الإسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون الآن ...)(٢).

٤- كما أن التغريب يسعى لتمزيق وحدة الفكر العربى الإسلامى بعزل الأخلاق عن التربية والدين والأدب والسياسة والدولة، وكذلك نشر الإلحاد والإباحية، والشذوذ الجنسى، والزواج الحر والسفاح والسفور، وكل ما فيه إفساد وانهيار للأمة الإسلامية(٣)، إلى غير ذلك من تلك الأهداف الاستعمارية.

(١) الموسوعة، ص ٧١٢.

(٢) الموسوعة، ص ٧١٣.

(٣) المرجع السابق.

خامساً: وسائل وأساليب التغريب:

خطط الناقمون على الإسلام وفكروا بعد أن تيقنوا أن الصراع العسكرى مخاطرة خاسرة تأكل الشباب، وتفنى الرجال، وتقضى على الأحلام، وقد جربوا الحروب، وسبروا أغوارها. فكان لابد أن يفكروا فى طريقة أخرى لعلها تكون أجدى فى الغلبة، وقد صرح ملك فرنسا "لويس التاسع" أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحروب والقوة، لأن فى دينهم عاملاً حاسماً هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد، وبذل النفس والدم رخيصاً فى سبيل حماية العرض والأرض، فكان لابد من إيجاد سبيل آخر يزيل هذا المعنى، ولا يتم هذا إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامى وتحويله من منطلقاته وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام القوى الغربية(١).

والتغريب مثله مثل الصهيونية والاستعمار له وسائله وأساليبه الخفية المتسترة وراء المدنية والخدمات الإنسانية العامة(٢). ومن أبرز الوسائل لنشر الفكر التغريبى فى العالم الإسلامى ما يلى:

١- استغلال وسائل الإعلام المختلفة والمؤسسات التعليمية المتعددة من مدارس أجنبية وجامعات ودور ثقافة.

٢- إثارة الشبهات والطعون ضد الإسلام، والتشكيك فى أحكام الإسلام، وعدم صلاحيته للحياة، وحصره فى كونه مجرد شعائر تعبدية، والقول بالفصل بين الدين والدولة أو بين الدين والسياسة.

(١) بين الإسلام والغرب، د. على عبد الوهاب، دار عالم الكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٧٩.

(٢) راجع بالتفصيل: نظرات فى الثقافة الإسلامية، ص ٤٨، ٤٩، الموسوعة، ص ٧١٢-٧١٦.

٣- الطعن فى اللغة العربية، وإحلال اللغة اللاتينية والعامية محلها، ووضع مناهج التعليم على أساس فلسفة الغرب وحضارته.

٤- ضرب وحدة الأمة وتجزئتها، وإيجاد الحواجز الفكرية بين الأمة الواحدة، وفصل الأمة عن قرآنها وثروتها الفكرية.

٥- نشر ثقافتهم وأهدافهم تحت مسمى العلم والتنوير فضلاً عن تشويه التاريخ الإسلامى ورجاله.

٦- تشجيع ونشر الأفكار والحركات الهدامة ودعمها، فهذه الأفكار هى التى سممت فكر الأمة، وبلبلت العقلية المسلمة، وشككت فى القيم الإسلامية، ودعت إلى التخلى عن الأصالة والعالمية، وأقعدت المسلمين عن الجهاد، وعن التمسك بالقرآن وسنة الحبيب المصطفى ﷺ. ولقد ساهمت هذه الأفكار التغريبية فى نشر العلمانية، والوجودية، والماركسية، والشيوعية، والبهائية، والقاديانية، والمأسونية، والروتارى، والليونز، كما روجت لكل من نظرية: فرويد، وداروين، وكل فكرة هدامة أدخلها الغرب ولإفساد وبلبلة أفكار الأمة.

٧- ومن الوسائل أيضاً[١] إبعاد العلماء العاملين المجاهدين عن مراكز السلطة والتوجيه، وإيجاد الحواجز بينهم وبين المجتمع، لإضعاف سلطان الدين، ويقوم هذا الأسلوب على السخرية بعلماء الدين واتهامهم بالجمود والجهل والرجعية.

(١) راجع للمزيد: بين الإسلام والغرب، ص ١٩٠-١٩١، المخططات الاستعمارية للشيخ محمد الصواف، ص ١٧-٢١ بتصرف، الإسلام فى وجه التغريب، أنور الجندى، ص ٧، والغزو الفكرى فى دائرة المجتمع الإسلامى المعاصر، د. على عبد الحليم محمود، ص ٩، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار البحوث العلمية الكويت.

٨- توجيه الأدب والأدباء والصحافة وجهة علمانية (لا دينية) مع السيطرة على دور النشر والتوزيع.

٩- العمل على إفساد المرأة، وإخراجها من قيمها باسم الحرية، والمساواة المزيفة، وخروجها سافرة متبرجة، ونشر الكتب والمجلات الخليعة، والأفلام والسينما لإثارة غرائز الشباب، وصرفهم عن التفكير فى مصالح أمتهم وجادة حياتهم.

١٠- إثارة النعرات القومية التى أماتها الإسلام وحذر منها.

١١- السيطرة الاقتصادية، والتحكم فى الأسواق، والاستيلاء على ثروات البلاد، وإشاعة الفقر والبطالة بين المسلمين مما يؤدى إلى انشغال المسلمين بدنياهم عن دينهم.

ومما سبق يتضح مدى التشابه بين التغريب والتيارات الأخرى المعادية للإسلام فى: الأهداف، والأفكار، بل وفى كثير من الوسائل، والأساليب والخطط. فمع اختلاف مسمياتها إلا أن الصلة بينها وثيقة.

الفصل الثانى

آثار التغريب

المبحث الأول: القومية وآثارها وموقف الإسلام منها.

المبحث الثانى: العلمانية وآثارها وموقف الإسلام منها.

أفرز التغريب العدد من الآثار والمخاطر الهدامة، والتى أحدقت بالأمة الإسلامية، لتصيبها فى مقتل، ولتنال من هويتها طمساً وتذويباً من خلال التشجيع لكل فكر هدام ضد الإسلام. وسوف نقتصر فى السطور التالية على إبراز تلك الآثار والتى تتمثل فى:

- **الحركة القومية.**
- **الحركة العلمانية.**

المبحث الأول
القومية وآثارها وموقف الإسلام منها

القومية:

جاء الإسلام والعالم فى حالة تمزق لا تربطه إلا العصبيات القومية الذميمة، أو النزعات العرقية والجنسية والقبلية. وكان هذا الوضع معروفاً منذ العصور القديمة، فهناك القومية الفارسية، واليونانية، والهندية، والعربية وغيرها. وكانت تعنى عندهم انتساب الفرد إلى قوم أو جنس معين، فهى تعنى بوحدة الجنس أو الوطن أو اللغة أو التاريخ أو العوامل الاقتصادية(١). فلما ظهر الإسلام ألغى هذه العصبية، ونادى بوحدة الأمة، والمؤاخاة فى الدين، وألغى التمايز بين الناس على أساس اللون أو الجنس أو النسب أو الأرض أو المصالح. وإنما هى العقيدة والدين.

وقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالعديد من الأدلة والنصوص التى تؤكد هذا، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣]. وفى الحديث قول الرسول الكريم ﷺ: "**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**" رواه أبو داود.

كما دل تاريخ الإسلام المشرق وواقع المسلمين فى العصور الأولى على أن الإسلام قد وحد النفوس، وألف القلوب على قلب رجل واحد، تلك الوحدة التى أذهلت الأعداء، وأقلقت مضاجعهم، فقاموا بالتدبير والكيد والتآمر عليه، لتفكيك تلك الوحدة عن طريق إثارة القومية والعصبية مرة أخرى. وقد

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، ناديةا لعمرى، ص ٢٥٤.

ظهرت تلك الفكرة أول ما ظهرت فى أوروبا مع أفكار "مارتن لوثر كنج" و"كلفن" وغيرهما فى القرن التاسع عشر. وكان وراء تلك الفكرة قوى يهودية تهدف إلى تدمير النظام النصرانى الاجتماعى الذى كان يقوم فى أوروبا على مواجهة "الجيتو" اليهودى والقوانين التى أصدرتها الكنيسة الكاثوليكية لعزل اليهود من المراكز الأساسية. وهنا أظهر اليهود فكرة القومية محل الدين وهكذا تحولت القومية إلى عقيدة ودين(١).

وفكر أعداء الإسلام فى نقل تلك الفكرة إلى العالم الإسلامى، سبيلاً إلى تمزيق وحدة المسلمين، وصبغها بالصبغة الأوروبية، فراحوا ينادون بإحياء أفكار وشعارات الحضارات القديمة التى أماتها الإسلام مثل الحضارة الفرعونية فى مصر، والنزعة الفينيقية فى لبنان وسوريا، والدعوة الدرزيه والنصيريه والعلوية فى الشام. إلى غير ذلك من تلك الحضارات والنزعات القديمة، وإن كان الإسلام لا ينكر جوانب البناء والخير والإيجابية التى قال بها الآخرون من أرباب الحضارات والمذاهب الأخرى فى كل عصر، بل هو يؤكد التقاء الحضارات فيما ينفع البشرية، ويخدم الإنسانية.

وقد تبنى تلك الفكرة وإدخالها إلى البلاد الإسلامية رجال من بنى قومنا، ولكنهم تربوا على فكر الغرب مثل جماعة الاتحاد والترقى، وجمعية تركيا الفتاة. فقد كان حزبين متعاونين مع اليهود على تنفيذ خططهم الماكرة، لأن قادة هاتين الجمعيتين من الماسونيين، ويهود الدونمة أو يهود سالونيك(٢). فجاء العميل والمخلص لفكرتهم "ضياء كوك الب" وحول الدعوة إلى القومية التركية الطورانية والتخلى عن الإسلام. وجاء من بعده "كما

(١) احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص ١١٦.

(٢) يهود الدونمة: هم يهود فى الباطن ولكنهم يحملون أسماء تركية إسلامية، ويتظاهرون بالإسلام لكى يندسوا بينهم.

آتاتورك" الماسونى، والذى فصل تركيا عن الإسلام بالقضاء على كل ما هو إسلامى فيها.

وفى إيران ظهرت الدعوة إلى إحياء القومية الفارسية القديمة والأديان القديمة والبعد عن الإسلام، وتطبيق العلمانية النصرانية التى تفصل الدين عن الدولة.

ومن ثم سرت عدوى القوميات إلى كل البلاد حتى فى العالم العربى، ويقال إن أول ظهور لهذه الفكرة فى العالم العربى كان على يد الجمعية العلمية السورية عام ١٨٤٧ وهى جمعية أنشئت بتوجيه إرساليات التبشير الأمريكى(١).

ولنتأمل مدى خطورة تلك التيارات المحكمة والمتخفية، والتى تثبت الإلحاد والمادية. فأصبحت العروبة محل الدين، ونادى بها المسلمون؟، وروج لها أعداء الإسلام على اختلاف تياراتهم ومذاهبهم. ومن هنا كان عجز المسلمين وهزيمتهم حتى الآن، وتفككهم نتيجة تخليهم عن الإسلام باعتباره منهج حياة، وانشغالهم بالعصبيات والقوميات التى فرقتهم وأضعفتهم، رغم أن العقيدة وحدها هى التى توحد بين صفوف المسلمين، فإذا فقدت زالت معالم التجمع الإسلامى، فلا غنى للعروبة عن الإسلام.

آثار القومية:

لقد كان للقومية آثار خطيرة على العالم الإسلامى من حيث تمزيق وحدة الأمة الإسلامية، وتفتيت كيانها، وجعلها دويلات ضعيفة يسهل للعدو التآمر عليها، وتشتيت أبنائها، وقتل نسائها وأطفالها وشيوخها وشبابها. كما

(١) احذروا الأساليب الحديثة، ص ١١٨-١١٩، والحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د. يوسف القرضاوى، مؤسسة الرسالة، ط ١٢، ص ١٥٢.

فُعل ذلك فى فلسطين ومازال إلى اليوم، وما فُعل بالأفغان، وما يُفْعل الآن بالعراق. وما عساه أن يُفْعل بعد ذلك. نسأل الله العفو والعافية من شرهم. كذلك كان من آثارها اهتمام المسلم بوطنه قبل عقيدته، وبجنسه قبل دينه، كذلك إحلال القومية محل الدين، ففى القدس اليوم تعالج معظم الدول العربية القضية على أنها جزء من العالم العربى وحسب. ولم ينظروا إلى كونها قضية دينية بحتة فهى مهبط الأنبياء، وثالث الحرمين، ومسرى الرسول ﷺ، ومعراجه(١).

ولا مناص أمام المسلمين اليوم للخروج من أزمتهم سوى الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ليجدوا فى ذلك الوحدة والاتحاد والحكم بالدين لا القوميات أو العصبيات. فالتقوى والعمل الصالح هما ميزان التفاضل الوحيد داخل الإسلام لا اللون ولا الجنس ... إلخ، بل إن الإسلام يعد من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومن هنا يأتى النصر بالدارين(٢).

الإسلام والقومية:

منذ جاء الإسلام وهو يدعو إلى القضاء على العصبية فى مهدها وليس هناك أوضح من موقف الإسلام فى هذه القضية وموقف الداعين لها. فالإسلام يجعل وحدة الأمة الإسلامية فريضة وضرورة يجب على كل مسلم للحفاظ عليها التضحية بالغالى والنفيس ومن هنا كانت التوجيهات والأوامر من الله عز وجل حيث يقول: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ**

(١) احذروا الأساليب الحديثة، ص ١٢٣-١٢٦.
(٢) المرجع السابق.

عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٥]. فالأمر واضح فى الآيات الكريمات بالوحدة وعدم التفرقة، تلك الوحدة التى جمعت بين المسلمين زمناً مشرقاً، وكانت العامل الأول فى انتصارهم، لأنهم اعتنوا بها باعتبارها جزءاً من عقيدتهم. تلك الوحدة التى أفزعت وأقلقت أعداء الإسلام وراحوا يدبرون للقضاء عليها.

يقول القس "سيمون": "يجب كسر شوكة الوحدة الإسلامية عن طريق التبشير حتى تستطيع أن تتغلغل النصرانية فى المسلمين"(١).

وهنا فكر أعداء الإسلام فى تمزيق تلك الوحدة، وإضعافها، فنادوا بالقومية والعودة إلى الحضارات القديمة.

فقد جاء الإسلام دعوة للناس كافة، ولم يخص جنساً دون جنس، ولا أمة دون أمة. كما ربط الناس برباط واحد هو العقيدة، فأصبحوا أخوة لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى قال تعالى: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** [الحجرات: من ١٣].

وجاء الرسول ﷺ وألغى العصبية، وساوى بين المسلمين "**لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى**"(٢). وألف الله بين قلوب المسلمين جميعاً، قال الله عز وجل: **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ**

(١) احذروا الأساليب الحديثة، ص ١١٥.
(٢) رواه أحمد.

بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]. كما آخى الرسول ﷺ بين الأوس والخزرج، وآخى فى المدينة بين المهاجرين والأنصار، تلك المؤاخاة التى جعلت بلال الحبشى، وسلمان الفارسى، وأبا ذر الغفارى، وصهيب الرومى عند الله سواء، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى، وتلك المؤاخاة هى التى جعلت المصطفى ﷺ يقول فى سلمان: "**سلمان منا أهل البيت**"(١) فأى فضل هذا الذى ناله سلمان.

وكثيراً ما كان ينهى الرسول ﷺ صحابته عن التفاخر بالنسب أو الجنس، وأن التفاخر لا يكون إلا بالإسلام، لا فرق بين أسود وأبيض، ولا بين عربى وغير عربى. تلك المساواة التى جعلت العبد الحبشى "بلال بن رباح" يُسمع دُف نعليه فى الجنة. وهذا خادم الرسول ﷺ "أنس بن مالك" والذى خدمه عشر سنوات لم يقل له كلمة "أف" قط ولا عاتبه على شئ.

تلك المساواة والحرية والإخاء الذى لم يوجد له نظير فى أية حضارة أخرى قديمة أو حديثة. حتى فى بلاد الحريات وأوروبا وأمريكا، والتى تعانى التميز العنصرى والتفرقة الواضحة بين الأسود والأبيض، واضطهاد الزنوج، وعدم إعطائهم حقوقهم كاملة.

ومن هنا كان انتشار الإسلام فى كافة البلاد العربية منها وغير العربية. فبالعقيدة وحد الإسلام بين الناس ولم يصنفهم وفق ألوانهم أو أجناسهم أو لغاتهم وإنما جعل معيار التفاضل بينهم التقوى يقول تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: من ١١٣] والإسلام فى هذا المنهج لم ينكر على الناس أجناسهم أو لغاتهم أو أفكارهم، فالاعتزاز بالوطن من الدين، وإنما الذى ينكره هو تلك العصبيات والقبليات وأن يكون التفاضل على

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٣/٦٩١.

أساسها دون اهتمام بالدين. ولذا كان واجباً على المسلمين الاعتزاز بالإسلام لا غير فهو سبيل مجدهم، وعزة الإسلام عزة للعرب، وسيادته سيادة لهم، وعليم الاعتزاز بالقرآن الكريم ورفع مكانته وتقدير قدسيته والسير وفق نهجه، فهو كتابهم الخالد المصون، وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله.

المبحث الثانى
العلمانية وآثارها وموقف الإسلام منها

أولاً: العلمانية ومدلولاتها:

تعد العلمانية (Secularism) من أبرز الآثار التى أفرزها التغريب، وهى مصطلح له معان متعددة بحسب المضمون الذى يورده السياق وليس له تعريف محدد. وهى تعنى اللادينية أو الدنيوية، هذا هو المصطلح الأصلى لها وهى دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعى والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وتعنى فى جانبها السياسى اللادينية فى الحكم. وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم (Science)، وإنما هى مشتقة من "العالم" فالأصل فيها "العالمانية" لا العلمانية وقد ظهرت فى أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق فى بداية القرن التاسع عشر حيث انتقلت إلى مصر وتركيا ولبنان وإيران وسوريا والعراق وتونس أما باقى الدول فقد انتقلت إليها فى القرن العشرين.

والعلمانية فى أدق تعاريفها – كما وردت فى إحدى الكتب – هى: "رؤية للحياة وهى أى أمر يعتمد أساساً على فكرة استبعاد الدين، وكل الاعتبارات الدينية وتجاهلها"(١). وقد تخفت العلمانية تحت هذا الاسم، حيث كان كلمة "لا دينية" المصطلح الحقيقى لها يثير كثيراً من القلق نحوها، لذا كان اختيار هذا الاسم الأول والذى يعنى عزل السماء عن الأرض وهذا لا يمكن فى الإسلام(٢). فالعلمانية صورة من صور التغريب، وأثر من آثاره الخطيرة على العالم الإسلامى. وهى أول عناصر الاتجاه الليبرالى الذى ساد حياة المسلمين بتأثير الاستعمار.

(١) حوار الحضارات، أ.عطية فتحى الويشى، تقديم د. محمد عمارة، مكتبة المنار الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ١٨٩.

(٢) الموسوعة الميسرة، ج١، ص ٦٨٩.

وكلمة "ليبرالى" مأخوذة من أصل أسبانى تعنى الحرية أما الديمقراطية تعنى حكومة الشعب، وقد ظهر كرد فعل لتسلط الكنيسة والإقطاع فى العصور الوسطى بأوروبا، مما أدى إلى انتفاضة الشعوب، وثورة الجماهير، وبخاصة الطبقة الوسطى والمناداة بالحرية والإخاء والمساواة(١). وهذا الاتجاه هو اتجاه علمانى قومى، وهو فى بدايته ونهايته اتجاه دخيل متسلط على بلادنا الإسلامية، فالعلمانية أعمق الآثار التى أحدثها الاستعمار وخلفها من بعده، فعزل الإسلام عن الدولة، وعن توجيه الحياة العامة، وعن قيادة المجتمع.

ومن خلال هذا الكلام الوجيز يتضح لنا أن مفهوم العلمانية يتفق مع الديانة النصرانية، حيث كان من مبادئها "اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله"(٢).

أما فى الإسلام فهى غير مقبولة ولا تستقيم، حيث لا يعرف الإسلام هذه الثنائية. فالمسلم كله لله وحياته كلها لله، يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: من ٢٠٨]، والله فى الإسلام هو الخالق والمدبر وليس الخالق فقط كما يدعى بذلك الغرب.

تلك الثنائية التى ظهرت فى أوروبا، حيث كانت الكنيسة هى المسيطرة على مختلف مجالات الحياة، وكانت تقف موقفاً عدائياً من العلم والعلماء. فقد أمرت الكنيسة بحرق العالم "برونو" الذى قال بوجود عوالم أخرى غير الأرض، وهى التى أخمدت أنفاس "كوبرنيكوس" الذى قال أن الأرض ما

(١) الحلول المستوردة، د. يوسف القرضاوى، ص ٥١.
(٢) الموسوعة الميسرة، ج١، ص ٦٨٩.

هى إلا كوكب مثل غيرها من الكواكب السيارة، وهى التى أجبرت "جاليليو" على أن يكذب ويناقض ما سبق أن صرح به من أن الأرض تدور حول الشمس وهو راكع على ركبتيه ذليلاً خوفاً من المحاكمة. بل إن الكنيسة أعطت لنفسها حق الغفران، ودخول الجنة وحينذاك تصور بعض الأوروبيين أن طريق الخلاص من ذلك هو توزيع السلطات والاختصاصات بجعل الكنيسة خاصة بالجانب الدينى والطرف الآخر الدنيوى يكون للدولة[١]. ومنذ ذلك الحين وبسبب موقف الكنيسة العدائى للعلم نشأت فى أوروبا شبهة القول بأن الدين يتعارض مع العلم، وأن الدين يسبب التأخر والانحطاط ويحول دون التطور. وهذا القول يتمشى مع العالم الغربى دون الإسلامى، رغم وجود أبواق موالية للثقافات الغربية فى العالم الإسلامى ومن أبناء جلدتنا والمفتونين من المسلمين بحضارة الغرب.

ثانياً: مراحل العلمانية:

مرت العلمانية بمرحلتين:

الأولى: مرحلة العلمانية المعتدلة، التى اعتبر فيها الدين أمراً شخصياً لا شأن للدول فية.

والثانية: مرحلة العلمانية المتطرفة، والتى طالبت بإخضاع تعاليم المسيحية إلى العقل، وإلى مبادئ التجارب الطبيعية أو المجزية[٢].

وهكذا فى كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للاستعمار سلطة ودولة أخذ شيئاً فشيئاً يحمل النزعة العلمانية فى تدبير الدولة والحكم وتنظيم

(١) أضواء الثقافة الإسلامية، نادية العمرى، ص ٢٢٨.

(٢) المرجع السابق.

العمران محل الإسلام، ويحل القانون الوضعى العلمانى محل الشريعة الإسلامية(١).

ثالثاً: أهداف العلمانية وغاياتها:

الحقيقة أن العلمانية وجهة نظر فلسفية محضة، ونظرة مادية تهدف إلى إبراز عدة نظريات فلسفية ومن أهم تلك الأهداف(٢):

- هدفت العلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة.
- هدفت العلمانية فى القرن التاسع عشر إلى إلغاء الثنائية بهدم الكنيسة، وإلغاء الدين بصفة عامة كتمهيد للوصول إلى السلطة المنفردة.
- وصفت عندهم النظرية الدينية عامة بأنها نظرة غيبية أو سلفية تتعارض مع التقدم والتحرر والحضارة، لذا كان هدفهم إنكار الغيب، إنكار الله تعالى – الحق، واعتبار أن العالم سرمدى خلق نفسه.

فكما هو ملاحظ أن تلك الأهداف لا تعد نظرة علمية، بل هى تلبس ثوباً علمياً، ومن ورائها قوى كثيرة تحركها وتدفعها، وأهداف بعيدة المدى ترمى من ورائها إلى السيطرة وتوطيد النفوذ العسكرى والاستعمارى والسياسى.

والجدير بالذكر أن الموطن الذى نشأ فيه الفكر العلمانى المتمثل فى: إنجلترا وألمانيا وفرنسا، لم يأخذ بتلك التوجهات العلمانية الخاطئة، حيث

(١) العالمانية بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، دار الوفاء، مصر، ١٤١٧هـ، ص ١٠ بتصرف يسير.

(٢) قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، د. أنور الجندى، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٣.

سقطت فى البيئات التى ظهرت فيها، ونشأت فى ربوعها، واتضح لهم خطأها وصححوا اتجاهها ولكن القوى التى تحمل لواء الاستعمار قد حجبت تلك النظريات المصححة، وأعلنت النظريات المضطربة فى ميادين النشر المختلفة.

فمثلاً لم يكن الخطر فى نظرية "دارون" فيما قاله "دارون" فقط بمسألة النشوء والارتقاء، بل ما ذكره "سنبسر" وغيره من تعميم حولوا فيه نظرية "دارون" التى قصرها على ميدان الأحياء والأجناس إلى نظرية اجتماعية وسياسية عامة(١) مما كان له أكبر الأثر فى شيوع الفساد فى شتى مناحى الحياة.

وهكذا اتضح لنا مدى التخبط والسيطرة على العالم والخداع بهم حيث نرى فى "بروتوكولات حكماء صهيون" مقولة: (وهكذا تسيطر حقوقنا العالمية على حقوق العالم، ونحكم الشعوب بالطرق التى تنظم كل دولة وعلاقتها مع رعاياها)(٢).

ويصرحون كذلك بقولهم: (إن كلمة "حرية" تضع كل مجتمع فى صراع مع كل سلطة حتى لو كانت سلطة الله أو الطبيعة، وحينما تغدو سادة فسوف نمحو هذه الكلمة من المعجم)(٣).

هكذا انخدع العالم الإسلامى بتلك الكلمات البراقة الجذابة الخادعة! ولا شك فى أن القول بتعارض الدين مع العلم وأن العلم له مجاله والدين له مجاله هذا قول خاطئ يحمل فى طياته معالم الشرك الخفى الذى تنصبه القوى الاستعمارية وسنتعرض فيما بعد لموقف الإسلام من تلك القضية.

(١) قضايا العصر ومشكلات الفكر، د. أنور الجندى، ص ٢٤، ٢٥.
(٢) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة عن الفرنسية د. إحسان حقى، دار النفائس، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٤٠.
(٣) بروتوكولات حكماء صهيون، ص ٤٨.

رابعاً: وسائل العلمانية:

الإسلام دين إلهى يحوى العديد من النظم السياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولذلك اهتزت له الأرض، وأحدث انقلاباً عميقاً فى مناحى الحياة العامة، ولم يترك فى حياة الناس شاردة ولا واردة إلا ضبطها وأحصاها. فقد كان – وما زال – كتاباً شاملاً فيه اللغة والأدب والشريعة والأخلاق جميعاً، فبنى عليه تراثه كله. فإذا فصلنا الدين عن الحياة لم يكن معنى هذا إلا أن نفصل العروبة عن تراثنا وحضارتنا، فالقرآن كتاب دين وثقافة معاً(١).

ومن أجل هذا نصب أعداء الإسلام مخالب شبائكهم، ومخططاتهم لتغريب الشرق الإسلامى، وعلمنة مناهجهم وعلومهم، وسلكوا فى سبيل ذلك وسائل عديدة منها:

الوسيلة الأولى: التعليم:

من أخطر الوسائل التى اتبعها التغريب عامة، والعلمانية بصفة خاصة التعليم والثقافة، بهدف طمس الشخصية الإسلامية، وإذابتها فى الثقافة الغربية، حيث إن التعليم طريق سهل، وغير مكشوف، وممهد لتضليل الأفكار وتشويه الحقائق، وبلبلة الآراء فالمعلم مرآة الطالب، وقدوته فى كل ما يقوله ويفعله، وهو الأكثر تأثيراً على الطالب حتى من والديه.

لذا فهو يمثل سلاحاً ذو حدين، وهذا ما ذكره "زويمر": (المدارس من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين)(٢). فقد اتخذ الغرب المستعمر من التعليم وسيلته الأولى فى التأثير والتغيير الذى ينشده. ولا شك بأن هذه

(١) قضايا ومشكلات الفكر، د. أنور الجندى، ص ٦٩.
(٢) الغارة على العالم الإسلامى، شاتيليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ص ١٠١.

المدارس لم يكن الهدف منها التكسب، حيث كانت تنفق عليها الجمعيات التى هى باسم الجمعيات الخيرية التابعة للاستعمار(١).

وقد سلك المستعمر الغربى لتحقيق هدفه من تلك المدارس ما يلى:

١ - البعثات إلى الغرب:

فقد كان أبناء المسلمين يبعثون إلى الغرب لمتابعة دراستهم قبل أن ينهلوا من الثقافة الإسلامية قدراً كافياً، وقبل أن يقوى وازع الإيمان لديهم. كانوا يوفدون إلى الغرب ليحصلوا العلوم الأوربية الحديثة، التى اقتبسها الغرب من المسلمين الأوائل. فأفاد منها وطورها ونسبها لنفسه، إلا أنه فرغها من مضمونها القيمى والدينى. فصار العلم عندهم مجرداً من الأخلاق الإيمانية، وفى هذه البيئة التى تفصل العلم عن الدين، وتعزل القيم عن الحياة. وقد حرص المستعمر على تدريس العلوم الاجتماعية والآداب والفنون والعلوم التطبيقية، والاقتصاد وما إلى ذلك فى خضوع تام للأنظمة الوضعية المرتبطة بالقوانين الرومانية والفرنسية. ومما يبعث على الألم أن كثيراً من هؤلاء الشباب المسلم قد عاد مستغرباً مفتوناً بالنموذج الغربى، متأثراً بأنظمته العلمانية التى تفصل القيم عن الحياة. لقد عاد هؤلاء الشباب من بعثاتهم بأفكار وقيم ومبادئ وعادات ولهجة ولغة الغرب. والعجب فى ذلك أن هؤلاء الشباب فتحت أمامهم السبل لتبوأ المناصب الكبرى، والمراكز المرموقة فى بلدانهم بعد العودة من بعثاتهم، كما سيطروا على منافذ الفكر والثقافة عن طريق الصحافة والإعلام والكتب(٢).

٢ - المدارس التبشيرية والأجنبية:

لقد أنشأ الغرب العديد من المدارس التبشيرية، وكان هو الممول لها والراعى والمنظم لها. هذه المدارس كانت تأخذ الأطفال منذ نعومة أظفارهم

(١) أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى، د. على محمد جريشة، ص ٣٩.
(٢) انظر: الحلول المستوردة، ص ٢٢، وأضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٢٤٢.

إلى أن يصلوا إلى المرحلة الجامعية، وحتى للمرحلة الجامعية أنشئت الجامعات الأجنبية فى العديد من البلدان العربية حتى يخرج جيل لا يعرف من الإسلام شيئاً.

٣- إنشاء المدارس الحديثة المدنية:

والتى تقوم على أهداف ومناهج الغرب، وتحت رعايتها، وتقوم على أسس غربية، وتعمل على تشويه صورة الإسلام، ونزعه من قلوب الطلاب، والاعتماد على العقل فقط. ولكن هذا النوع من المدارس قد رفضه الإسلام، ورفضه الأزهر الشريف بمصر، ونددد به، ولذا كان اضطهاد الأزهر من المستعمر، واضطهاد رجاله، وخسف حقهم فى الوظائف والأعمال(١).

٤- الحصار المادى والمعنوى للمدارس الأهلية والحكومية:

والتى تعلم العلوم الإسلامية، والتقليل من مكانة معلم التربية الدينية، ووسمه بالجمود والرجعية(٢).

٥- الاختلاط بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم:

وخاصة فى المرحلتين الثانوية والجامعية. وأصبحنا نرى المعلمات فى مدارس البنين، والمعلمين فى مدارس البنات، مما أدى إلى السماع عن الكثير من الحوادث والانحرافات الخلقية. وقد كان لوجود هذه المدارس التبشيرية فى العالم الإسلامى الأثر الخطير فى إضعاف كيان المجتمع الإسلامى، وتشويه لكثير من الحقائق الإسلامية فى عقول من تربوا فى تلك المدارس والجامعات. تلك العقول التى تربت على الانفتاح الكامل على الغرب فهؤلاء اختلط لديهم الغث والثمين، والباطل على الحق، وبعدوا عن

(١) الحلول المستوردة، ص ٢٥-٣٠، وأضواء على الثقافة، ص ٢٤١.
(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٢٤١.

روح الإسلام وعزته، وصاروا بذلك دعاة التجديد والنهضة الحديثة. لكن لا يمنع ذلك من وجود أئمة ورجال دافعوا عن الدين الإسلامى، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه بأقلامهم وكتبهم من أمثال: محمد رشيد رضا، ومصطفى صادق الرافعى، والعقاد، والغزالى وغيرهم(١).

وكان من المخاطر التى خلفتها المدارس التبشيرية: التشكيك فى الإسلام، وإضعاف الإيمان وخاصة فى قلوب المفتونين بالغرب، الذين حسبوا أن النهضة الفكرية، والعلمية، والأدبية، والاجتماعية مرتهنة بتقليد الغرب. ولعلهم غفلوا عن التاريخ الإسلامى الزاهر، والحضارة الإسلامية العريقة التى استفادت منها البشرية قروناً عديدة.

والواجب علينا تجاه هذه المدارس إبعاد أولادنا عنها، وتربيتهم التربية الإسلامية السليمة، وأن تكون العلوم الدينية هى الأساس فى كافة مراحل التعليم، كما ينبغى التعريف بمخاطر هذه المدارس. كذلك واجب العلماء تنقية تاريخنا الإسلامى من أى شائبة وضعها ودسها أعداء الإسلام، والمشاركة الفعالة فى إبراز تراثنا الإسلامى الأصيل بالقلم والفكرة والعمل.

الوسيلة الثانية: الإعلام:

لم يقتصر نشاط الاستعمار الغربى على ميدان التعليم بمختلف أساليب بل تعداه إلى ميدان آخر لا يقل خطراً عنه – إن لم يزد عليه – فى قوة تأثيره وسهولته وسعته. إنه ميدان الإعلام بمناشطه المختلفة المرئية والمقروءة والمسموعة، فهو واسع الانتشار ولا يقتصر فى رسالته على نموذج معين أو عدد معين من الأفراد، بل هو رسالة إلى الشعب بأسره العامىين منهم والمتعلمين، الرجال والنساء، الصغار والكبار، الأغنياء والفقراء.

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٢٤١.

بالإضافة إلى أسلوبه الجذاب والمشوق، تارة بالمقال وتارة بالخبر، وتارة بالقصة. مما كان له التأثير المباشر على العقول والأفكار.

وقد أدرك المستعمرون عظم خطر هذه الوسيلة، ومدى نجاحها فى غزوهم الفكرى، نظراً لتعدد وسائل الإعلام من صحافة وراديو وتلفزيون. يقول المستشرق "جب": (إن الصحافة هى أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً فى العالم الإسلامى ...)[١].

كما يقرر أن مديرى الصحف اليومية ينتمون فى معظمهم إلى "التقدميين" ولذلك كانت معظم هذه الصحف واقعة تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية. وأن صحفهم هذه كانت تحتوى على مقالات تشرح الحركات السياسية والاقتصادية فى أوربا، وعلى مقالات مترجمة من الصحف الأوروبية[٢].

وقد ساهمت كثير من الصحف اليومية فى تزيين الحياة الغربية، والإغراء بالحضارة الغربية، وبأوربا العظمى – كما يدعون – فلا خلاص للعالم الإسلامى من مشكلاته وتخلفه إلا باتباع النموذج الغربى فى كل جوانب الحياة، الأمر الذى أبعد الكثيرين عن دينهم الحنيف، وعن مثله العليا، وحضارته العظيمة، فكانت الصحافة بذلك فى – أغلبها – وسيلة ناجحة للتغريب، وأداة من أدوات انتشار العلمانية فى المجتمع الإسلامى.

ولم تكن تلك المخططات إلا صناعة صهيونية خبيثة فقد ورد فى بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه: (إن الكتب الأدبية والصحافة هما قوتان مهمتان للثقافة، ولذا فإن حكومتنا ستمتلك أكثر المطبوعات الدورية...

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ج٢، ط٣، د. محمد محمد حسين، ص ٢١٧.
(٢) الاتجاهات الوطنية، د. محمد محمد حسين، ص ٢١٧.

وإن نسبة الصحف الحرة إلى حد ما إلى صحفنا ستكون بنسبة واحد إلى ثلاثة)[١].

وعن مهمة الصحافة ودورها جاء أيضاً فى البروتكولات: (إن الصحافة تقوم بصرف نظرا لجمهور نحو قضايا جديدة، ومن المعلوم أننا قد عوّدنا الجماهير منذ زمن بعيد على البحث دوماً عن مثيرات جديدة...)[٢].

وهكذا وجدنا الصهيونية تكيد للإسلام بشراء ضمائر بعض الصحفيين، واستغلال عقول الناس بما يخدم أهداف اليهود والصهيونية، فهى من أكثر الوسائل شيوعاً وأبعدها تأثيراً سواء أكانت محلية أو مستوردة.

الوسيلة الثالثة: الغزو الاجتماعى:

يعد الغزو الاجتماعى الوسيلة الثالثة للتغريب والعلمانية، ونعنى به تبدل العادات والتقاليد والقيم الإسلامية بأخرى غربية. وكذلك إذابة الثقافة الإسلامية فى الثقافة الغربية. وقد كان التمهيد لذلك بالوسيلتين السابقتين، وبالتدرج بالناس وترغيبهم فى الغرب والافتتان به.

لقد استطاع الغرب – إلى حد كبير – فرض سيطرته على البلاد الإسلامية، وإغرائها بالأموال الطائلة والملاذ ونشر المراقص والملاهى وشيوع الروايات الخيالية، فضلاً عن شغل المسلمين بالثقافة الاستهلاكية كنمط لحياتهم. وهذا النوع من الغزو قد نجح بدرجة كبيرة فى كثير من البلدان العربية والإسلامية.

(١) بروتوكولات حكماء صهيون، ص ٨٠.
(٢) البروتوكولات، ص ٨٣.

خامساً: الشبه التى أوردها العلمانيون على الإسلام وأهم معتقداتهم[1]:

لقد أثار العلمانيون عدة شبه وملصقات بالإسلام شأنها شأن أى دعوة هدامة صهيونية أو يهودية. ومن تلك الطعون على سبيل المثال لا الحصر:

١- الطعن فى الإسلام والقرآن والنبوة.

٢- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة الحديثة، وأنه يدعو إلى التخلف.

٣- الزعم بأن الفقه الإسلامى مقتبس من القانون الرومانى.

٤- تشويه صورة رسول الإسلام ورجاله الأوائل والسخرية منهم.

٥- فصل الدين عن الدولة.

٦- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله تعالى، والبعض يؤمنون بوجوده تعالى ولكن ينكرون أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

٧- يقولون أن الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل المحض.

٨- العمل على نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم كيان الأسرة المسلمة باعتبارها اللبنة الأولى لبناء المجتمع.

٩- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب.

سادساً: موقف الإسلام من الأفكار العلمانية:

القرن الكريم نبراس هذه الأمة، وكتاب الله تعالى الخالد المعصوم، المحفوظ بحفظ الله وعنايته، المتحدى بأقصر سورة منه بلغاء الغرب

(١) راجع للمزيد: الموسوعة الميسرة، ص ٦٨٩-٦٩٤، وحرية الفكر أم حرية الكفر، د. عبد العزيز سعيد الزهرانى، دار القاسم، ص ١٩-٨٧.

وفصحائهم، عجز المفترون فى كل عصر عن إلصاق أى شبهة به، فكمه الأفواه، وهزم المعاندين، فما تطاول عليه متطاول ولا اجترأ عليه مجترئ إلا دمره وحطمه.

لقد استطاع القرآن الكريم – بالمؤمنين الصادقين الذين قاموا بحقه – التصدى لتيارات الغزو الفكرى الماكر ومخططاته الإلحادية، والأفكار العلمانية المارقة عن الدين الإسلامى صراحة دون أدنى تأويل مثل: ادعاء البعض ان الإسلام ليس بديانة إلهية سماوية، وإنما هو تجربة فجرها محمد – والعياذ بالله – كما أن محمداً جاء للزعامة وإقامة دولة. وكذلك يزعمون أن السنة ليست مصدراً من مصادر التشريع الإسلامى(١). إلى غير ذلك من تلك الأفكار العلمانية الإلحادية.

وقد وقفت الحركة الإسلامية صابرة مصابرة مرابطة، تقاوم الانحراف والفساد، وحملت لواء الجهاد – جهاد الفكر – فهب بعض علماء الدين يدافعون عن الإسلام وثقافته، وعالميته وعمومه لجميع الأجناس دون التعصب لعنصر واحد.

والحقيقة أن الإسلام يرفض أفكار العلمانيين، ولا يقبلها، ولا يمكن أن تستقيم أفكار العلمانية فى بلد مسلم، حيث أن مبادئ وقيم وأصول الإسلام تعارض جميع الأفكار العلمانية فهى لا تستقيم مع الفطرة السليمة، كما يأباها العقل الراشد. والإسلام دين التوحيد الخالص ودين المساواة، ودين العزة والكرامة فلا خضوع فيه إلا لله تبارك وتعالى. وهو دين يرفض الثنائية التى تنادى بها العلمانية، والتى تعنى فصل الدين عن الدولة. فالإسلام لا يقام إلا فى دولة وأمة، وهذه الدولة حارسة الإسلام والمطبقة والراعية لأحكامه.

(١) راجع بالتفصيل، حرية الفكر أم حرية الكفر، ص ١٥-١٩.

وقد اهتم الإسلام بفكرة الوحدة ووحدة الفكر التى تجمع المسلمين على اختلاف أوطانهم وأجناسهم على تلك الوحدة الفكرية القادرة على مجابهة الحملات الاستعمارية، التى تساعد على النظر فى الفكر الوافد ويميز بين الغث منه والثمين ويأخذ منه ما يتلاءم معه بما يخدم البشرية وتقبله الفطرة. كما أن هذه الوحدة الفكرية تساعد فى الدفاع عن أصالة الفكر الإسلامى وذاتيته(١).

كما قرر الإسلام وحدة النفس البشرية على اعتبار أن طبيعة الإنسان مكونة من روح وجسم كلاهما له مطالبه وحقوقه دون إهمال لأحدهما. وهناك دنيا وآخره، ودين وحياة، وواقع ومثال كلاهما ضرورى وهام. كما قرر الإسلام وحدة الجنس البشرى فلا تمايز عنده بين أبيض وأسود، ولا بين عربى وغير عربى، تلك التفرقة التى نجدها حتى فى القرن الحادى والعشرين فى الدول الغربية. كذلك قرر وحدة الدين وثبات الشرائع والأخلاق والمبادئ(٢).

وليس هناك تنازع منذ وجد الإسلام بين الإسلام والعلم فمنذ نزول أول آية من كتاب الله والدعوة إلى العلم صريحة وقد جاءت نصوص القرآن والسنة ثرية ببيان فضل العلم والعلماء.

والعلم فى الإسلام لا يتعارض مع الدين، بل يقويه ويدعمه ويؤيده، والاكتشافات الفلكية التى يكتشفها العلماء المسلمون وغير المسلمين تؤيد ذلك، والناظر فى القرآن بتدبير وخشوع يجد الكثير والكثير عن صدق هذا كله، حيث كان القرآن وحده سبب لإسلام العديد من غير المسلمين، وكذلك فى هداية الكثير من المسلمين الذين انتموا إلى بعض تلك التيارات المعادية

(١) قضايا العصر: ص ٦٠، ٦١.

(٢) شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى، ص ٢٣.

للإسلام. يؤكد ذلك واقع عودة بعض الفنانين والممثلين والمفكرين إلى حظيرة الإسلام الصحيح بعد فترة انبهار وافتتان بالنموذج الغربى وفكره العلمانى. لقد أكدت هذه النتيجة من أرباب الوسط الفنى والفكرى بعد تذوق للتجربة أن الهداية فى القرآن، وأن الطمأنينة مع الالتزام.

وهكذا بنى الإسلام على البحث العلمى، فبالعلم عرفنا الله، وعرفنا كيف ندافع عن الإسلام بمثل سلاح الأعداء. وبالعلم عرفنا المنابع الأولى للإسلام ونستطيع أن نلخص لماذا يرفض الإسلام العلمانية؟

إن رفض الإسلام للعلمانية يرجع لأسباب عديدة أبرزها:

١- لأنها تدعو إلى الإلحاد والفساد والانحلال.

٢- لأنها تفصل الدين عن الدولة وتدعو إلى القومية والطائفية.

٣- لأنها تريد للمجتمع الإسلامى أن يكون نسخة من المجتمع الغربى بفكره وأحكامه وأخلاقه، فتدعو إلى العلاقات الحرة بين الجنسين، وتحلل الربا وتنكر الغيب ... إلخ.

٤- لأن الحرية عندهم مطلقة بلا ضوابط، فهم يرون الحرية فى الالتزام بالدين أو بإهماله، أما فى الإسلام فالحرية تختلف تماماً عن ذلك حيث أن الحرية هى تحرير الإنسان من قيد العبودية، وسلطان الاستبداد والطغيان والخرافات، وهذا لا يتعارض مع حرية الاعتقاد التى كفلها الإسلام للناس، يقول الله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: من ٢٥٦]، ويقول سبحانه: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: من ٢٩]، فلا إرغام على اعتقاد، وإنما المرفوض هو الثنائية والازدواجية فى الدين والإجبار عليه.

وهكذا ظهر لنا بوضوح الإعلان عن النظام العالمى الجديد، الذى يعنى فيما يعنيه سيطرة القطب الواحد، ممثلاً بأمريكا على العالم كله سيطرة كاملة: ثقافية وحضارية واقتصادية وسياسية واجتماعية، وسواء أكانت السيطرة عن طواعية أم عن فرض وإلزام(١). وتلك هى قصة الصراع فى كل زمان، فهو قديم قدم الزمان، واليهود إن لم يكونوا وراء ذلك كله – وهذا بعيد – فهم ليسوا بعيدين عن بدعة العولمة وشبائكها الماكرة، بل هم ناصبوها وصائدوها.

وأخيراً فالجو الذى نشأت فيه العولمة يصلح لها هذا الفكر المتجزئ. فأوربا الغربية وأمريكا تعيشان نوعاً من الازدواجية، فالكنيسة لها رجالها وأعمالها، والدولة لها فكرها ورجالها، والدين هناك يتناقض مع العلم.

أما عندنا نحن المسلمين فلا يستقيم هذا الفكر مع عالمية الإسلام التى أنتجت حضارة عظيمة لم يشهد التاريخ لها مثيل من قبل، فالإسلام وحدة متكاملة تنظر إلى الإنسان والكون والحياة نظرات متعادلة متوازية متكاملة. ليس عندنا رجال دين يملكون صكوك الغفران، بل عندنا فقهاء وعلماء ينفذون شريعة الله تبارك وتعالى دون زيادة أن نقصان. لا يملكون لأنفسهم شيئاً، وبالأحرى لا يملكون لغيرهم أى شئ. وليس بمقدور العلم أن يقدم منهجاً متكاملاً يغطى جوانب الحياة الإنسانية – وإن أدعى العلمانيون ذلك – أما الدين فهو منهج كامل للحياة البشرية، والعلم إذا لم تسانده أخلاقيات ومُثل ومعالم توجه العاملين فى حقله، والساعين إلى اكتشاف عوالمه، سيغدو العالم فى صراع ودمار، والقرآن الكريم يؤكد أن العلم هو الهادى إلى الله، وإلى ضرورة التفكر والتعقل للوصول إلى الإيمان الحق(٢).

(١) حوار الحضارات، د. موسى إبراهيم الإبراهيم، دار الإعلام، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، الأردن، ص ١٧٤.
(٢) أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامى، د. صابر طعيمة، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، بيروت، ص ٢٢٠، ٢٢١.

ولقد دعا القرآن الكريم الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسى إلى ما حولهم فى النفس والكون، وأعطى للحواس المسؤولية الكبرى عن كل ما يصدر منها. قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦). كما وجه القرآن الكريم الإنسان إلى إمعان النظر فيما حوله، يقول تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَباً، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقاً، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَباً، وَعِنَباً وَقَضْباً، وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً، وَحَدَائِقَ غُلْباً، وَفَاكِهَةً وَأَباً**﴾ [عبس: ٢٤-٣١]. بل وجه الإنسان إلى ضرورة النظر فى خلقه، يقول الله عز وجل: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ**﴾ [الطارق: ٥]. ووجه النظر كذلك فى ملكوت السموات والأرض فقال سبحانه: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يونس: ١٠١].

وهكذا يلفت القرآن الكريم الأنظار إلى التفكر فى النفس والسموات والأرض والحيوان والنبات والجبال وكل ما حولنا. فالإنسان بعقله وحسه معاً مسؤول عن العمل ومحاسب يوم القيامة على أساس هذه المسؤولية.

تلك نظرة الإسلام للعلم، تلك النظرة التى تربط المسلم بخالقه، وتعمر الحياة فى غير تصادم بين الدين وحقيقة العلم. والعكس صحيح مع العلمانية التى فصلت العلم عن الدين، وعزلت الدين عن الحياة، هذه العزلة التى ترجع إلى التباين بين كل من: سلطة الكنيسة، وسلطة الدولة. وقد اتفق رجال الكنيسة والدولة معاً على هذا الفصل وتلك العزلة التى تجعل لكل منهما شئونه الخاصة. وهذا شئ لا يقره الإسلام، فالسلطة المدنية فيه تنضبط حركتها على ضوء وأمر التشريع الإسلامى الذى لا يحتكر أمره رجال الدين، ولا أحبار كهانه. وإنما علماء تتسع الساحة الإسلامية لكل من رغب فى تعلم واحدة من قضايا هذا التشريع. ذلك أن أبواب المسجد فى الإسلام لا يقف

عليها كهنة ولا حجاب[1]. وليس هناك فى الإسلام وساطة بين الله والعبد، فالعلاقة بينهما مباشرة، ولا يملك الحساب والجزاء إلا الله تعالى.

من خلال هذا العرض الموجز للعلمانية اتضح لنا أنه إذا كان للغرب حجة فى وجود العلمانية هناك بعد ما ارتكبته الكنيسة من حرب للعلم، وإهانة للعلماء واعتزال للحياة، فليس هناك من عذر وحجة لوجودها فى بلاد المسلمين، حيث أن البيئة والأسباب التى وقفت وراء ظهورها فى الغرب لم توجد يوماً فى الإسلام، وهو الدين الذى يشمل جوانب الحياة بأسرها. يقول تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من ٣٨]، ويقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: من ٨٩].

ولو أن الغرب اتخذ من الإسلام منهج حياة لما قبل العلمانية أو غيرها، لأنه دين يلبى حاجة الفطرة، ويربط الدين بالدنيا.

لذا كان واجباً علينا أن نعود إلى الإسلام، ونحتمى بحماه، وبقواعده الراسخة، وأن نتحرر من تبعية الغرب وأن نقتنع بأنه هو الحل لجميع الصعاب، وأن نعمل على إعادة مجدنا الفكرى والثقافى والسياسى بتطبيق الإسلام منهجاً وسلوكاً ونظام حياة. ولنحذر هذا الفكر الدخيل على ألسنة أناس من بنى جلدتنا ولكنهم بعيدين عنا، فُتنو بالغرب الذى غزا قلوبهم وعقولهم. ولكن الإسلام سيبقى بحفظ الله سبحانه وتعالى له وسترتفع رايته دوماً طالما هناك رجال يحمون حماه ويذودون عنه، ويجاهدون فى سبيله فكرياً وعلمياً، فلعل هذا اللون من الجهاد كان أجدى وأنفع فى وقتنا المعاصر من الجهاد العسكرى. والحاجة ماسة إلى بذل المزيد من الجهود فى التصدى للعلمانية على غرار ما قام به الصادقون فى دعوتهم والغيورون على دينهم

(١) أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامى، د. صابر طعيمة، ص ٢٢٧.

من علماء الأزهر والأمة الإسلامية من الغيورين على دينهم، والصادقين فى دعوتهم. وصدق الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: من ٨].

الفصل الثالث

الدور المنوط بالمسلمين تجاه حملات التغريب

الدور المنوط بالمسلمين تجاه حملات التغريب:

ونأتى إلى آخر جولة بالبحث وهى الأهم والمتعلقة بالواجب على المسلمين أفراداً وجماعات ومؤسسات تجاه حملات التغريب وقد تعرض البحث فيما سبق لأهم مخططات التغريب وأهدافه وآثاره التى اكتوى بها العالم الإسلامى شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، إلا أن الرضوخ واليأس، والاستسلام ليس من شيم المسلمين ﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾(١). فتاريخنا المشرق يشهد بأن عزائمنا صلبة، وهمتنا عالية. وكم من حملات واعتداءات تعرض لها المسلمون فما زادهم إلا قوة وبأساً. فالإسلام كان ومازال وسيبقى - إن شاء الله - حاملاً بين طياته أسباب العزة والنهضة ومقومات الحضارة التى سعدت بها البشرية قروناً كثيرة وهو القوة الوحيدة التى يحسب لها اليهود كل حساب، ويعتبرونها الخطر الوحيد عليهم فى الأرض كلها.

وما فعله التغريب فى عالمنا الإسلامى، يلقى بظلاله على الدور المنوط بنا اليوم أفراداً وجماعات مؤسسات وهيئات، مدارس وجماعات، فى التصدى لتلك الحملات المسعورة المغرضة. وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ**﴾(٢).

ونشير فيما يلى إلى بعض ملامح هذا الدور المطلوب لمواجهة تلك الحملات:

- ينبغى أن تتحقق ثقة المسلمين فى نصر الله - عز وجل - للمؤمنين الصادقين يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**

(١) سورة يوسف، من الآية ٨٧.
(٢) سورة الأنفال، من الآية ٦٠.

وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [١]، وقال: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ ...** ﴾[٢].

- يجب اليقظة لكل ما يُحاك بالمسلمين من مؤامرات صهيونية صليبية.
- ينبغى التقييم الصحيح لشعارات الغرب ومبادئه الزائفة التى افتتن بها بعض المستغربين عن: حرية وديمقراطية واحترام لحقوق الإنسان وغيرها من تلك الشعارات التى كشفها الواقع الأمركيى والغربى فى كل من: العراق وأفغانستان وما يُحاك بالسودان وغيرها. ولعلنا ندرك أنه مما أثمرته الحرية الغربية الصليبية التى حملها الاستعمار إلى بلادنا الجهر بما أسموه تحرير النظم والقوانين من سيطرة الدين، وفصل الدين عن الدولة، وتحرير المرأة من قيود الدين ... وهكذا.
- ينبغى توعية الأجيال الصاعدة بتلك التيارات والعقائد الوافدة للتعرف عليها بأمل الوقوف أمام مفاسدها وتوقى أخطارها. ويمكن للمؤسسات التعليمية والإعلامية (مدارس، جامعات، تليفزيون، صحافة، الإنترنت) المساهمة فى ذلك بدرجة كبيرة بما تعقده من مؤتمرات وندوات.
- كذلك يجب الكشف عن أصالة جوهر الإسلام وإيجابيته، بعد التعرف على أسباب تأخر مجتمعاتهم وتخلفها، وقد تأكد لنا على مدار الأزمان فاعلية الإسلام، وصنعه لحضارة انتفعت بها البشرية، وسعدت معها الإنسانية، وما تخلف المسلمون إلا من صنيع أنفسهم، وابتعادهم عن منهج خالقهم وهجرهم لقيم الإسلام ومبادئه. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾[٤].

(١) سورة غافر، الآية ٥١.
(٢) سورة الحج، من الآية ٤٠، ٤١.
(٣) سورة الرعد، من الآية ١١.
(٤) سورة الحشر، الآية ١٩.

- كما ينبغى تعميق وترسيخ الإسلام فى قلوب المسلمين، وعدم عزله عن أية ناحية من نواحى الحياة، اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو فكرية. فقد كان لعزل الإسلام عن بعض الجوانب والقضايا التى تمس كرامة الأمة الأثر الخطير فى إحداث فصام فى الأمة، وتهميش لقضاياها المصيرية، فقد أخرجت قضايا وهموم المسلمين فى فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير ... عن طابعها الإسلامى وتجزأت تلك القضايا فصارت دفاعاً عن الأرض والممتلكات. وهذا هو ما يحاوله الغرب الصهيونى بعدم إكساب تلك القضايا الطابع الإسلامى، والدفاع عن العقيدة كما عُزلت الحياة الاجتماعية والاقتصادية عن المنظور الإسلامى. مما أحدث العديد من المشكلات التى أخرت قافلة المسلمين عن ركب التقدم وامتلاك زمام الرقى والحضارة التى نعمت البشرية فى ظلها قروناً سالفة وشتان بين ماض تليد وواقع مرير.
- من الواجب توضيح معنى الحرية للشباب حتى لا ينساقوا وراء الحرية الغربية المزعومة، وأن الحرية فى الإسلام هى حرية منضبطة لا تعرف الفوضى، ولا تنساق وراء الأهواء والنزوات والحرية فى الإسلام تشبع رغبات الإنسان بما لا يتناقض مع شريعة الله تعالى، وبما لا يحرر العبد من القيم والأخلاقيات.
- ينبغى أن تكون للمسلم هويته وشخصيته المستقلة عن الآخرين: عقيدة وسلوكاً وأخلاقاً وعملاً وألا يخشى إلا الله تعالى.
- ينبغى التأكيد على أنه لا ولاية للكافر على المسلم، وأن الولاية لله وحده، وأن الخوف والحب والعمل من المسلم له وحده، والمرجعية فى كل شئ لله لا شريك له ففى الحديث: "**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله**

فقد استكمل الإيمان"(١)، ويقول تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ**﴾(٢).

- يجب علينا النظرة الفاحصة الناقدة لكل ثقافة أو علم أو فكرة أو رأى وارد من غير المسلمين، وينبغى إخضاعه لميزان الإسلام، فنقبل منه ما لا يتعارض مع أصولنا وقيمنا الإسلامية، ونرد ونرفض ما يتعارض معها.
- علينا نشر فكرة أن الإسلام دين العدالة والتسامح مع الآخر، وأن الإسلام لا يرفض الحوار مع الآخرين ولا يتعطش لإراقة الدماء. فقد وسع ديننا المسلمين وغير المسلمين عدلاً ورحمة وتسامحاً وحرية وممارسة للحقوق شريطة ألا يطغى ذلك على عزتنا وكرامتنا وعقيدتنا.
- علينا الدفاع عن الإسلام بكل ما لدينا من قوة وعتاد، والعمل على تصحيح النظرة الخاطئة عن الإسلام بادّعاء أنه دين يدعو إلى الإرهاب، وقتل الأبرياء ... وغير ذلك من الدعاوى الباطلة.
- علينا الدعوة إلى بيان حقيقة أن الإسلام دين سلام عالمى شامل لكل ما تحتمله الكلمة من معان: سلام على النفس، والمال، والأهل، والعقيدة، والديار، سلام يدعو إلى المسالمة مع الآخر أيا كان جنسه أو دينه، ولكنه فى الوقت ذاته لا يعنى الاستسلام أو الذل والخضوع للغير، والتخلى عن الكرامة والعزة، والدين والأرض، السلام فى الإسلام لا يعنى سيطرة الآخر وهيمنته على مقدرات الأمة والقضاء على حضارتها وإذابة هويتها، وإهدار كرامتها إنما المقصود سلام ينعم معه الجميع بالأمن

(١) حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم – المستدرك كتاب النكاح، ١٧٨/٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٢، ١٦٣.

والأمان فى غير مساس بعزة أو كرامة أو نيل من عقيدة الآخر. ولعل تحقيق هذا الدور يتطلب ما يلى:

- عقد العديد من الندوات والمؤتمرات المحلية والعالمية للتعريف بالإسلام وسماحته.
- إبراز شهادات المنصفين من غير المسلمين عن الإسلام ودوره الحضارى والإنسانى.
- إبراز واقع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى على مدار التاريخ وكيف نعموا بحقوقهم وكيف نالوا حريتهم ومارسوا عقائدهم.
- تفنيد الدعاوى والاتهامات الباطلة فى حق الإسلام والمسلمين ودحضها بالحجة والبرهان من خلال المناظرات والحوار والكتابات.

- يجب على أمتنا أن تعود إلى أصولها الإسلامية، فتربى الأجيال تربية إيمانية جهادية، وفق الأصول والضوابط الشرعية لذلك، لتتخلص الأمة من هزيمتها النفسية.
- يجب على رؤساء وقيادات الأمة الإسلامية إعطاء الفرصة للعلماء والدعاة لكى يؤدوا واجبهم فى ربط الأمة بعقيدتها، والمساهمة فى إعداد جيل قرآنى يجمع فى تربيته بين الأصالة والمعاصرة، ليواكب مستجدات العصر ومتغيراته.
- يجب على قيادات الأمة الإسلامية بأسرها العمل بجد وإخلاص لتحقيق الوحدة الإسلامية والعربية وجمع شمل الأمة. فلا خلاص للأمة مما أصابها من استعمار وغزو ثقافى وسياسى واقتصادى واجتماعى وأخلاقى وعسكرى، ولا نجاة من أزمتها إلا بالوحدة والاتحاد والالتقاء على الإسلام باعتباره منهج حياة.

- علينا أن نتلمس أسباب القوة والحضارة التى صنعت للأمة مجدها السابق، أملاً فى استعادة الأخذ بها، مع الوقوف أيضاً على أسباب الانهزام النفسى والتخلف .. وغير ذلك من عوامل الضعف التى لحقت بالأمة أملاً فى التخلص منها.
- علينا الصبر والمصابرة والمجاهدة فى سبيل الله، والتخلق بالأخلاق الإسلامية فى السلم والحرب، والإخلاص فى العمل، والدعوة إلى الله تعالى ومحاولة تصحيح نظرة الغرب إلى الإسلام حتى يعود للإسلام مجده وحضارته وقوته إن شاء الله تعالى.
- الاستعانة بكل ما هو حضارى وجديد مبتكر فى نشر الإسلام خارج البلاد الإسلامية، والتحذير من كل ما يروجه أعداء الإسلام من دعوات مشبوهة ومخططات ماكرة، ونوادى وجميعات سرية خادعة كالروتارى، والليونز، والماسونية، وبناى برث، والمائدة المستديرة... وغيرها من مؤتمرات مزيفة مقنعة بقناع الحرية، والمساواة، والعدالة، وحقوق الإنسان والحيوان والمرأة، والتعايش السلمى، والعمران، وهم بعيدين عن ذلك كله.
- ينبغى الحفاظ على هويتنا الإسلامية لتبقى مصونة متحصنة بحصن الإسلام، تحفظ للأمة شخصيتها، وتعيد لها عزتها وكرامتها، ولن يتأتى ذلك إلا بالحفاظ على لغتنا العربية لغة القرآن وذلك بالعناية بها لغة كتابة وفكر فى شتى مناحى الحياة الثقافية والتعليمية والإعلامية. بالإضافة إلى الحفاظ على مناهجنا التعليمية من التشويه والإفراغ من المضمون ومناقضة الثوابت وليس معنى ذلك الإبقاء عليها دون تطوير أو ملاءمة لواقع العصر ومستجداته، وإنما ينبغى أن يكون التطوير نابعاً من الذات

وفى ضوء الواقع وما تفرضه الحاجة. فالتطور الذى يساير العصر ويحفظ الهوية من متطلبات الفهم الصحيح للإسلام.

الخاتمة

بهذا العرض الموجز عن التغريب من حيث: مفهومه وأهدافه ومخططاته وآثاره وسبل مواجهته، يتضح لنا التحديات والمخاطر التى تحيق بالإسلام والمسلمين لا سيما ما يرتبط بمخططات الغزو الفكرى الغربى التى عملت إلى استقطاب غالبية الفئة المثقفة من المسلمين لجعلها أبواقاً للفكر الغربى فى قلب العالم الإسلامى بغية تمزيق الصف الإسلامى وإثارة العصبيات واستنكار الثقافة الإسلامية واستمراء الثقافة الغربية وترسم خطاها وتمثلها فى شتى مناحى الحياة، بالإضافة إلى هدم ثوابت الأمة والتشكيك فى عقيدتها، والاستجابة لدعوات هدم اللغة العربية، وادعاء أنها عاجزة عن أن تكون لغة العلم والثقافة والتعليم بالإضافة إلى محاولات النيل من الأسرة المسلمة بالترويج للإباحية والشذوذ ... وغير ذلك.

فضلاً عن محاولات عزل الدين عن الحياة وتشويه التاريخ الإسلامى والطعن فى رجالات الأمة وقادتها وعلمائها. وإحياء النزعات الجاهلية ... إلى غير ذلك من مخططات تستهدف كيان الامة وتشكك فى قيمها وثوابتها الأمر الذى ينبغى معه يقظة الأمة أفراداً وجماعات ومؤسسات لتلك المخاطر والتصدى لها بوضع الخطط المناسبة واتخاذ الأساليب اللازمة فالباطل المنظم يحتاج إلى حق منظم والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وأخيراً: أرجو أن أكون قد وفقت فى إعداد هذا البحث على الوجه الذى يرضى الله سبحانه وتعالى وأسأل الله السلامة والإسلام والأمن والآمان والنصر على الأعداء والعزة للإسلام والمسلمين.

وأساله سبحانه أن يحفظ الأزهر درعاً واقياً وحصناً منيعاً لهذه الأمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثة

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربى، ط. دار النهضة، القاهرة.

٣- أنور الجندى: شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى، بيروت، المكتب الإسلامى، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤- أنور الجندى: قضايا العصر ومشكلات الفكر فى ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، مراجعة دار الندوة، العالمية للطباعة والنشر، مجلد١، ط٣، ١٤١٨هـ.

٦- المعجم الوسيط، ج١، تركيا، أستانبول، المكتبة الإسلامية.

٧- الفيروزبادى: القاموس المحيط، ٨١٧هـ، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية.

٨- إحسان حقى (ترجمة): بروتوكولات حكماء صهيون، دار النفائس، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٩- ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، القاهرة، دار بيروت للطباعة والنشر.

١٠- ماجد عرسان الكيلانى: الخطر الصهيونى على العالم الإسلامى، دار السعودية للنشر، ط٣، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١١- على عبد الحليم محمود: الغزو الفكرى فى دائرة المجتمع الإسلامى المعاصر، الكويت، دار البحوث العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٢- على محمد جريشة: أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى.

١٣- عطية فتحى الويش: حوار الحضارات، تقديم د. محمد عمارة، مكتبة المنار الإسلامية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤- شاثيليه: الغارة على العالم الإسلامى، ترجمة محب الدين الخطيب.

١٥- محمد عمارة: العلمانية بين الغرب والإسلام، مصر، دار الوفاء، ١٤١٧هـ.

١٦- محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ج٢، ط.٣

١٧- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارات الغربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

١٨- محمد الغزالى: تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، المعهد العالى للفكر الإسلامى، ط٢، دار الشروق، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٩- محمد الصواف: المخططات الاستعمارية.

٢٠- عبد العزيز سعيد الزهرانى: حرية الفكر أم حرية الكفر، الرياض دار القاسم، ١٤٢٠هـ.

٢١- سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام، طنطا، مكتبة الصحابة، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٢٢- على محمد عبد الوهاب بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٣- نادية شريف العمرى: أضواء على الثقافة الإسلامية،ط٩، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٤- عز الدين الخطيب التميمى وآخرون: نظرات فى الثقافة الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٥- موسى إبراهيم الإبراهيمى: حوار الحضارات، الأردن، دار الإعلام، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٦- صابر طعيمة: أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامى، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٧- صحيح البخارى.

٢٨- صحيح مسلم.

٢٩- مسند الإمام أحمد.

٣٠- يوسف القرضاوى: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، مؤسسة الرسالة، ط١٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.